٣ ــ الطائرات لا تصطاد المدفع: وهذه نتيجة مستخلصة عبر تجارب عدة عرفتها الحروب الحديثة، سواء في كوريا ام في فيتنام ام في الشرق الاوسط. وقد اكد الجنرال مردخاي غور، رئيس الاركان السابق، هذه الحقيقة عندما سئل عن رأيه بهذا الموضوع فأجاب، انه طلب فحص تأثير قصف سلاح الجو الأميركي للفيتناميين عندما عين ملحقاً عسكرياً في واشنطن، وكان الرد؛ انه باستثناء نقطة معينة، كانت النتيجة خسارة[٣٩]. وثبت من تجربة الطيران الاسرائيلي، في الحرب الاخيرة، ان محاولاته لتدمير القاعدة التحتية للفدائيين لم تحقق نتيجة ملموسة. بل ادت، كما قال اسحق رابين، الى خرب استنزاف «ليس باستطاعتنا الصمود فيها ولسنا بحاجة الى ذلك»[٤٠]. وشبه احدهم محاولات «الفانتوم» لاصطياد المدافع الفلسطينية بمحاولات من يبحث عن الابرة وسط اكوام الركام. فقد استخدم هذا الاسلوب في فيتنام وفشل كلياً. فالفانتوم ليست طرفاً في الحرب مع الفدائيين الذين يصلون الساعة الثالثة ليلاً مع راجمة ضخمة تضم ٤٠ صاروخاً، يطلقونها ثم ينسحبون الى صور وصيدا. وفي صباح اليوم التالي، يراقبون الفانتوم التي تبحث عنهم في السماء. ومثل هذه الحرب لا يمكنها ان تستمر زمناً طويلاً؛ حيث يستنجد الفدائيون من الجيش الاسرائيلي، ويهرب سكان كريات شمونه من اماكن سكنهم. لذلك، اذا لم يحصل وقف لاطلاق النار خلال الايام القريبة «ستكون العاقبة وخيمة. واكثر منها النتائج»[٤١].

واكدت الاحصاءات التي نشرتها الصحافة الاسرائيلية، ان الفدائيين نفذوا، خلال الحرب، ٨٨ عملية قصف. وتعرضت ٣٥ مدينة ومستوطنة اسرائيلية لنيران المدفعية والصواريخ. ولم تتأثر وتيرة القصف المدفعي الفلسطيني وكثافته، في اليوم الاخير للحرب، عما كانت عليه في اليوم الاول؛ حيث بلغ مجموع القذائف التي اطلقها الفدائيون، قبل ساعات من وقف النار، نحو ٣٠٠ قذيفة وصاروخ.

خلاصة

واذا كان للمراقب ان يلخص نتائج الحرب الأخيرة بالنسبة لاسرائيل، فلا بد له من ان يسجل جملة من النقاط الاساسية. فهي حرب تختلف عن كل المعارك التي واجهتها اسرائيل خلال تاريخ النزاع في الشرق الاوسط. فقد سُجّلت، خلالها، عدة تحولات في «المحرمات» التي حذرت القيادة الاسرائيلية من المساس بها تحت كل الظروف. واهتز كثير من المبادىء العسكرية التاريخية التي حافظ الاسرائيليون عليها الى درجة القدسية. وكما قال احدهم ساخراً: ان الحرب ضد منظمة التحرير الفلسطينية، في صيف ١٩٨١، ستسجل «كحدث تاريخي في حياة الجيش الاسرائيلي»[٤٢]؛ حيث بلور مناحيم بيغن نظرية استراتيجية جديدة. وهي نقل الحرب الى «عمق المواقع المدنية لاسرائيل». ومع اننا ندرك حقيقة المبالغة النسبية الكامنة في هذا التقدير، والناتجة عن طبيعة الصراع الحزبي الداخلي في معظمها. وندرك ايضاً ان عملية التحول الاستراتيجي تسير ببطء شديد، الا ان الامر، يحتاج الى اكثر من وقفة، لاستخلاص العبر، واستنتاج الدروس.